رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

طواغيت[١]

الإحياء... دلائل الخيرات... مجموع الأوراد

في حنو الحب ورقة الرحمة قال لي صاحبي: ويحك يا حامل المعول!! إنما تهدم اللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ، ومن حولها عبادها يتلمظ في نفوسهم الحقد الأهوج وتنزو بهم للقتال خصومة رعناء، إنما تثير عليك والله الثائرة التي يؤجج لظاها الشرك ويقذفك بحممها المشركون.

قلت: أعلم ذلك الذي تخشاه، ولكني أعلم قبله أنني مسلم لله ماله ودمه، وفي سبيل العقيدة نضاله وجهاده، ولن يكلفنا ما نحن فيه مالًا ولا دمًا أيها الصديق، تعال معي نشهد قرآن الفجر في أي مسجد شئت، ففي هذه اللحظات الخوالد التي تشرق بنور الله وتفيض بالرحمة القدسية، وتعطرها أرواح الجنة، لا يجد المتصوفة غير صلوات الشرك يبتهلون بها إلىٰ الله، وإلا طقوس الوثنية ينيبون بها إليه، فقرآن الفجر وتبتل الروح في الفجر، وابتهال النفس في محراب العبودية، كل هذا يستمدونه من مصحفهم «مجموع الأوراد»[٢]، وما هذا الكتاب إن تصفحته وتبينت ما فيه بالنظرة المؤمنة إلا وساوس من الشرك وهمزات من الشياطين..

---

(١) (١/ ١٣٦٥).

(٢) **مجموع الأوراد**: يقصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب والاستغاثات لمحمد عبد المعطي. ط/ مكتبة النصر، القاهرة.

وهو جمع للأذكار المبتدعة التي يرددها الصوفية كحزب النصر، وحزب البر، وحزب الرحيم، وغيرهم. (ض).

وتعال معي نشهد صلاة الجمعة، ففي هذه الأويقات الرفافة بالرضىٰ والخير والحكمة والجمال، والتي تسمو فيها قيم الجماعة الإنسانية، يتلمس الناس نشوة الحس وسكينة النفس في مصحفهم الآخر «دلائل الخيرات»[1].. تراهم وقد رانت عليهم سكرة الموت من خشعات الأرواح يرتلون بالدمع آياته، ويهمسون في أسىٰ اللوعة بدعائه..

وتعال نسأل: أي كتاب هو لدين الله الحجة البالغة والفيصل المبين إذا العقول هامت في متاهة الباطل؟

فسيقولون: كتاب إحياء العلوم، لحجة الإسلام الغزالي[2].

حسرة عليهم يا حسرتاه؛ إنما سكرت أبصارهم فاشتروا الضلالة بالهدىٰ، والعذاب بالمغفرة، ظنوا في الله غير الحق ظن الجاهلية، أين كتاب الله؟ وأين سنة رسول الله؟

---

(١) **دلائل الخيرات**: كتاب مليء أذكار وأدعية وصلوات صوفية مبتدعة، وهو من الكتب المعظمة جدًّا عند المتصوفة، وعليه شروح ككتاب «بلوغ المسرات علىٰ دلائل الخيرات» لحسن العدوي المصري، وكتاب «الدلالات الواضحات علىٰ دلائل الخيرات» للنبهاني.
وصاحب الكتاب هو محمد بن سليمان بن عبد الرحمن الجزولي السملالي الحسني المغربي ثم المكي المالكي الشاذلي، من أهل سوسة المراكشية، وله أيضًا حزب الجازولي بالعامية، وحزب الفلاح، ومطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، وله أتباع يسمون الجزولية، يقال: مات مسمومًا سنة ٨٧٠هـ. الإعلام (٧/ ٢١)، ومعجم المؤلفين (٣٣٣). (ض).

(٢) **قال الدكتور محمد رشاد سالم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمي الغزالي بحجة الإسلام مع أن ثقافته الإسلامية كانت محدودة خاصة في علم الحديث، وكثرة الأحاديث الضعيفة في كتبه عامة وفي الإحياء خاصة، وسجل عليه ذلك أكثر من عالم». صـ(٧) مقارنة بين الغزالي وابن تيمية. (ض).

أَوَ ما في الإحياء خير مما في كتاب الله؟ وهل أوراد الطوغيت أملأ بالإيمان من صلوات رسول الله؟ وهل دلائل الخيرات أهدىٰ من دلائل النبوة؟

إن القرآن فيه هدىٰ ونور للنفس الهائمة والروح التائه الشريد، وفيه شفاء لما في الصدور من نوازع النفس ونزوات الحس، فلم لا ينشدون المثل العليا للسعادة والخلود فيما نزل الله؟ يا رحمتا لك يا ابن الخطاب! لم تقرأ ورد السحر، ولا المنفرجة، ولا صلوات ابن مشيش[1]، فما جزاؤك في الآخرة؟!!

أيها المؤلهون لهذه الطواغيت، هذه دعوتنا نتوجه بها إليكم فتعالوا إلينا وفي حصافة العقل الرشيد ولوامع الفكر البصير، وإشراق الحق الإلهي من القرآن؛ نتبين ما في هذه الكتب، فإن يك الخير سارعنا إليه، وإن يك محض الشر والكفر نجونا بالعقيدة من زيغه وبغيه.

تالله ما ندعوكم إلا إلىٰ الغاية العظمىٰ للروح في حياتها الإنسانية، ولن نتجنىٰ علىٰ آلهتكم بمين نفتريه بل سَنَحْتَكِم في كل ما نقول إلىٰ العقل إن كانت لديكم منه أثارة، وإلىٰ القرآن إن كنتم به مؤمنين.

إن دعوتنا دعوة إلىٰ التحرر من عبودية العقيدة لهذه الأصنام، دعوة إلىٰ النور، دعوة إلىٰ الحق، دعوة إلىٰ الله، وقد يتفيهق دعي علم فيقول: وما لك وهذه الكتب فلن تضرنا وكتاب الله بيننا؟

مثل هذا القائل أقول له: إن لهذه الكتب قداستها وجلالتها عند عبادها: فكأن

---

(١) هو عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر، صوفي مغربي، اشتهر برسالته «الصلاة المشيشية»، توفي سنة (٦٩٢هـ). انظر «الأعلام» (٤/ ٩)، معجم المؤلفين (٥/ ٢٣٢). (ض).

آياتها تنزيل من الله، وكأن ما فيها هو الحق المبين.

إن قولة يقولها الغزالي في الإحياء أشد تأثيرًا علىٰ نفوسهم من آية يهدينا بها القرآن.. هذا ما يدعونا إلىٰ محاربتها؛ بل إلىٰ تشديد النكير عليها حتىٰ يبرأ الناس من وبائها؛ وحجتنا في الذي نستمسك به، هو ما في هذه الكتب نفسها، هو ما سنضعه أمام النظر البصير، والفكر المتحرر من أغلال التقاليد، فلا تكونوا أيها العابدون لها ممن وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥].

ضلالات الإحياء(١):

ألف الغزالي كتابه الإحياء منذ أكثر من ثمانية قرون، فَدَانَ لسلطانه الفكر الإسلامي، وراحت تفهم في ظلاله العقيدة، فإذا عرضت للمسلمين مشكلة دينية تلمسوا الرأي الهادي في كتاب الإحياء، وإذا شاء أي مناظر ديني الغلبة علىٰ مناظره استمد العون من الإحياء، فللإحياء الرأي الأول والآخر في كل أمر ديني، وما زال سلطانه النافذ القوي ينتظم حتىٰ اليوم أكبر جوانب العقلية الإسلامية، وإني - وقد عرضت نفسي لما يخشاه الصديق - لا أبتغي والله غير وجه الحق، فإن ارتأىٰ سواي

(١) **قال صاحب كتاب: «نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان» ابن القطان:**

«إن كتاب «إحياء علوم الدين» لما وصل إلىٰ قرطبة تكلموا فيه بالسوء وأنكروا عليه أشياء لا سيما قاضيهم ابن حمدين فإنه أبلغ في ذلك حتىٰ كفر مؤلفه وأغرىٰ السلطان به واستشهد بفقهائه، فأجمع هو وهم علىٰ حرقه، فأمر علي بن يوسف بذلك بفتياهم فأحرق بقرطبة علىٰ الباب الغربي في رحبة المسجد بجلوده بعد إشباعه زيتًا بمحضر جماعة من أعيان الناس ووجه إلىٰ جميع بلاده يأمر بإحراقه، وتوالىٰ الإحراق علىٰ ما اشتهر عنه ببلاد المغرب في ذلك الوقت». (ض).

رأيًا يخالف ما نذهب إليه، فليهدنا برأيه فليس أمام الحق كبير، ولا في الصدق - إذا تبين - مراء، ولن أتعرض لما في الإحياء من أحاديث جلها موضوع، فقد كفانا الحافظ العراقي ﷺ مؤنة ذلك، ولن أبين كل ما فيه من ضلالات وشطحات، فوقتي أقصر من ذلك، بل سأشير وأضرب المثل، والله المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل.

الغناء بالشعر أعظم من القرآن تصفية للنفس:

سيروع القارئ ما ذكرنا، وربما يتهمنا - قبل أن يطالع الإحياء - بالافتراء علىٰ الغزالي، فمن ذا الذي يصدق أن حجة الإسلام - كما لقبوه - يضرب أول ما يضرب بمعوله حجة الإسلام الخالدة: القرآن، فيزعم في جرأة المستهتر ومكر المتصوف أن الغناء بالشعر أعظم تصفية للنفس من القرآن، أعني بلغة العصر الحاضر: صوت أم كلثوم[1] يصفي النفس حتىٰ ينكشف لها الله أكثر من القرآن، لو أن هذه صدرت اليوم من إنسان لطوّحت بعنقه المقصلة، ولو صدرت من غير الغزالي وهو الملقب بحجة الإسلام لكان.. لكان ماذا؟

والله لا أدري، وقبل أن نبين هذا نذكر تعريف ما يسميه المتصوفة «بالوجد».

يقول الغزالي تعريفًا للوجد[2]: (وارد حق جديد عقيب السماع، يجده المستمع من نفسه، وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين، فإنها إما أن ترجع إلىٰ مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات، وإما أن ترجع إلىٰ تغيرات وأحوال ليست من العلوم).

ويأخذ الغزالي في شرح الوجد وما يحدثه في النفس ما نلخصه في أن الوجد

---

(١) يقصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المطربة المشهورة في وقته. (ض).

(٢) الجزء السادس، صفحة (١٧٨)، طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية.

يصفي النفس ويكشف لها الغيب ويمثل لها الحق[١] في صورة مشاهدة؛ هذه مكانة الوجد عند الصوفية.

فاسمع ما يقول الغزالي في صفحة (١٨٨) جزء (٦): (اعلم أن الغناء أشد تهييجًا للوجد من القرآن من سبعة أوجه:

الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله) ويستشهد الغزالي علىٰ هذا الوجه استشهادًا فيه رائحة السخرية إذ يقول: (من استولىٰ عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١]). فانظر المكر الساخر في استشهاد الغزالي.

وقد أطال الغزالي في شرح السبعة أوجه؛ لهذا نكتفي بتلخيصها هنا:

الوجه الثاني: أن القرآن كلما كرر ضعف أثره وتأثيره في القلوب فيكون الغناء بالشعر أحسن. ويستشهد علىٰ هذا بكذب يفتريه علىٰ الصديق؛ فيزعم أن أبا بكر كان يقول إذا رأىٰ الأعراب يبكون عند سماع القرآن: «كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا»، ويقول: إن التكرار علىٰ قلب أبي بكر بالقرآن جعله قليل التأثر به. وليس لنا تعليق علىٰ زعم الغزالي، فليعلق القارئ بما شاء.

الوجه الثالث: أن الشعر موزون والقرآن غير موزون، والصوت الطيب بالأوزان أشد تأثيرًا في النفس من الصوت الطيب بغير الأوزان.

الوجه الرابع: الغناء بالشعر له ألحان مختلفة وبهذه الألحان يقوىٰ تأثير الغناء علىٰ النفس أكثر من قراءة القرآن الذي لا يجوز فيه التلحين.

الوجه الخامس: أن الألحان الموزونة تعضد بأصوات أخر موزونة، كالضرب

---

(١) دائمًا يعني الصوفية بالحق: الله تعالىٰ.

بالقضيب والدف وغيره، ومن هنا كان تأثير الغناء أشد تهييجًا للوجد من قراءة القرآن.

الوجه السادس: أن المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع فيطلب غيره أما في القرآن فلا. وهناك وجه سابع أيضًا لا داعي لذكره.

ويقص الغزالي عن يوسف بن الحسين الرازي[1]: أنه سمع بيتين من الشعر فبكىٰ حتىٰ ابتلت لحيته وثوبه، ثم قال لمن غناهما: هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ في المصحف لم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت القيامة عليّ لهذين البيتين.

يقص هذا من سَمّوه: حجة الإسلام، يقص هذا الغزالي مستشهدًا بما يقص لبهتانه؛ أي مسلم ينطق بالشهادتين فحسب لا يستثير غضبه بل لعنته علىٰ من يزعم أن الغناء بالشعر سبيل إلىٰ تصفية القلب، سبيل إلىٰ مشاهدة الله، وأن التغني بالشعر أنفع وأجدىٰ في تطهير النفس من قراءة القرآن.

أسباب الكشف:

كل صوفي يؤمن بالكشف، بل يزعمون أن الكشف أدنىٰ مراتب الولي،

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الرازي فخر الدين، مفسر، فقيه، أصولي، يعرف بابن خطيب الري، ولد سنة (٥٤٤هـ)، من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال، له العديد من المؤلفات، من أشهرها (السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم)، وهو مصنف في جواز عبادة الأصنام.
رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة كتب منها: كتاب نقض التأسيس، ودرء التعارض، قال الإمام الذهبي عنه: «وقد بدت في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي علىٰ طريقة مرضية» قيل: إنه تاب في آخر حياته» توفي سنة (٦٠٦هـ). [انظر «السير» (٢١/ ٥٠٠)، معجم المؤلفين (١١/ ٧٨)]. (ض).

والكشف يحصل بأسباب منها:

(١) التنبيه، وسماع الغناء منبه.

(٢) ومنها صفاء القلب، والسماع يؤثر في تصفية القلب.

(٣) ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع.

إذًا فسماع الغناء أقوىٰ الأسباب عند الغزالي للكشف، فأي كشف هذا؟ إنه عند الغزالي مثل كشف الأنبياء، أما عند الحق فهي وساس الشيطان، أقال الله لنا غنوا لأظهر لكم في مشاهدة، أم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

حسب الغزالي هويًّا إلىٰ أعماق الهاوية أن يزعم أن رؤية الله تحصل بسماع الغناء.

مساواة الولي للنبي في انكشاف الحقائق:

من الصوفية من يفضل الولي علىٰ النبي، إذ يزعمون أن الولي يوحىٰ إليه بلا واسطة أما النبي فبواسطة، وزعيم هؤلاء ابن عربي، وقد تساعدنا بعض النصوص عند الغزالي في أن نفهم أن الغزالي يحوم حول هذا فهو هنا يزعم أن الولي تنكشف له الحقائق كما تنكشف للنبي ولا فرق بين الاثنين إلا في أن النبي كلف بإصلاح الخلق أما الغزالي فلم يكلف به.

يقول في صفحة (٤٥) ج(٨) - في استدلاله علىٰ وقوع الكشف -: (إخبار الرسول عن الغيب وأمور في المستقبل وإذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق، وهذا لا

يسمىٰ نبيًّا بل وليًّا).

من أين استمد الغزالي هذه الضلالة؟ أمن القرآن؟

أم من سنة الرسول الأعظم؟! أي ولي لله أعظم من الصديق؟

فهل انكشفت الحقائق للصديق كما انكشفت للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه؟

علىٰ الغزالي أن يثبت هذا، إن الغزالي يثبت أكثر مما نطالبه به، يثبت بقصة أن وليًّا أتقىٰ من عيسىٰ إذ يزعم في (صـ١٥٣/ جـ ٨) أن عيسىٰ عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحًا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فإذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي علىٰ فقد المناجاة، وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسىٰ: يا ولي الله، ادع الله تعالىٰ لي، فإني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني. فقال الشيخ: اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي.

ألا يريد الغزالي أن يثبت من وراء هذا أن نبيًّا عظيمًا شغلته عن الله دنياه، وأن وليًّا مجهول الاسم كان أعظم من عيسىٰ تقوًىٰ وتوجهًا إلىٰ الله وفناء في الله؟ ألا يريد أن يقول: إن الولي أتقىٰ من النبي؟ ألا يريد أن يقول: إذا شغل الولي بذكر الله لم يأكل لأنه لا يحس جوعًا أما النبي فقد يشغله الجوع عن ذكر ربه؟!

ليحكم العقل الرشيد والإيمان الخالص علىٰ هذا فما أريد أن أصدع بالحكم.